الفصل الأول

معنى التطرف الفكري وعلاقته بالمفاهيم الأخرى

لا جرم أن قضية التطرف الفكري تُعدُّ من القضايا أو الإشكالات القديمة الحديثة، والتي لا تخلو من زمان ولا مكان إلا وبدت تطفو على السطح بشكل أو بآخر.

وقد أرَّقت هذه القضية عددًا لا بأس به من الفقهاء، والمفكرين، والفلاسفة، وازدادت حدة التطرف في عصرنا الراهن، وخاصة مع تفاقم نعرات أتباع أو أنصار كل أصحاب فكر، أو مذهب، أو جماعة، أو فئة، وحدتها ما بين مؤيد لهذا المذهب أو ذاك، أو لهذه الجماعة أو تلك. ليس هذا فحسب، بل وأصبحت الاتهامات تُكال جُزافًا من قبل أنصار هذا الرأي أو ذاك حتى أصبح وصم المخالف بالتكفير أمرًا لا مندوحة عنه، من ناحية، أو وصفه بالتخلف، والرجعية، والراديكالية من ناحية أخرى.

ومع هذا الانشقاق الرهيب، كان لا بد من طرح الإشكالية في ثوب جديد يعمل على محاولة رأب صدع تلك الفجوة ومعالجتها من منظور عصري يتفق وجميع الإمكانات المطروحة على الساحة الفكرية، والدينية (الإسلامية)، والعلمية المعاصرة. ناهيك عن أن فك طلاسم هذه الإشكالية يتطلب مجهودًا مضنيًا من أجل بلوغ حقيقة تحوي بين طياتها عناصر التشرذم والاختلاف، بحيث تستقيم مع صحيح الدين وسليم العقل.

لذلك، لا يستطيع الباحث، عند الحديث عن التطرف الفكري، أن يَغُضَّ الطرف عن وظيفةٍ رئيسةٍ يراها في غاية الأهمية؛ أعني بها توضيح المقصود ببعض المصطلحات الشائكة التي تثيرٍ الكثيرٍ من الشبهات، ولاسيما من ناحية تعدد معاني أو دلالات المصطلح أو اللفظ الواحد، والذي يجعلنا بالضرورة نقع في مأزق الاختلاف، وذلك لأن الباحث قد يقصد معنى معين أو دلالة ما للفظ أو المصطلح في حين يفهمه القارئ بمعنى آخر مختلف عنه تمامًا. ومن ثمَّ، اختلاف دلالة اللفظ أو المصطلح من فرد لآخر أو من عصر لآخر.

ليس هذا فحسب، بل إن فهم أو تفسير اللفظ ودلالته بصورة خاطئة يكون سببًا في أخطاء كثيرة تنتج عنه. وفي ذلك يقول «فوستيل دي كولانج[1]»: «إن لدراسات الكلمات

١) فوستيل دي كولانج: (١٨٣٠-١٨٨٩) مؤرخ فرنسي، ألف «المدينة العتيقة» ١٨٧٤، وهو دراسة رائعة في تأثير الدين في تطور المدن الإغريقية وروما. ولكن أعظم كتبه «تاريخ النظم السياسية لفرنسا القديمة» (٦ مجلدات ١٨٨٢-١٨٩٢)، وقد وجه الفكر إلى تفسيرات جديدة لتاريخ أوائل العصور الوسطى.

أهمية بالغة في علم التاريخ. فاللفظ الذي يُفسر تفسيرًا خطأً يمكن أن يكون مصدرًا لأغلاط فاحشة»[١].

وعلى هذا يكون أول ما نبدأ بتعريفه، التطرف وما معناه؟، والفكر وماذا نقصد به؟، والتطرف الفكري ماذا يُراد به؟.

أولاً: معنى التطرف:

١ - التطرف لغةً:

(أ)- التطرف في اللغة العربية:

تَطَرَّفَ: (فعل)

تطرَّفَ في يَتطرّف، تطرُّفًا، فهو مُتطرِّف، والمفعول مُتطرَّف- للمتعدِّي.

تطرَّفَ: : اِبْتَعَدَ إِلَى الطَّرَفِ، الجَانِبِ الآخَرِ، رَأَى خِصَامًا فِي الشَّارِعِ فَتَطَرَّفَ جَانِبًا.

تَطَرَّفَتِ الْمَاشِيَةُ جَوَانِبَ الْمَرْعَى: صَارَتْ بِأَطْرَافِهِ.

تَطَرَّفَتِ الشَّمْسُ: دَنَتْ إِلَى الغُرُوبِ.

تَطَرَّفَ الحَدِيثَ: عَدَّهُ طَرِيفًا.

يَتَطَرَّفُ فِي أَفْكَارِهِ: يَتَجَاوَزُ حَدَّ الاعْتِدَالِ وَالحُدُودِ الْمَعْقُولَةِ ، يُبَالِغُ فِيهَا.

تَطَرَّفَ منه: تنحَّى.

تَطَرَّفَ الشيء : أَخَذَ من أَطرافِهِ

تَطَرُّف: (اسم)

مصدر تَطَرَّفَ

التَّطَرُّفُ إِلَى الشِّمَالِ: الاِبْتِعَادُ.

تَطَرُّفُ الشَّمْسِ: دُنُوُّهَا إِلَى الغُرُوبِ.

والتطرُّف: المغالاة السياسية، أو الدينية، أو المذهبية، أو الفكرية، وهو أسلوب خطِر مدمِّر للفرد أو الجماعة تبذل بعض الدول جهودًا مضنية للقضاء على التطرُّف الإرهابي[٢].

١) لانجلو اوسينوبوس: المدخل إلى الدراسات التاريخية، في كتاب: النقد التاريخي، تأليف، لأنجلو اوسينوبوس، وبول ماس، وإيمانويل كانط، ترجمة عن الفرنسية، عبد الرحمن بدوي، الطبعة الرابعة، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨١، ص١١٧.

٢) http: / /www.almaany.com /ar /dict /ar-ar/ / تطرف.١٥/ ٣/ ٢٠١٥تم الدخول

(ب) التطرف في اللغة الإنجليزية:

لم يكن حديثنا عن التطرف في اللغة الإنجليزية من باب الترف الفكري، أو الحشو الزائد الذي لا فائدة منه، وإنما جاء ذلك للوقوف حول ما إذا كان المصطلح يحتوي على المعنى نفسه في اللغتين العربية والإنجليزية، أم أنه يختلف من لغة لأخرى.

بالنسبة للقواميس الأجنبية فقد ذكر (Albert Breton) وآخرون:»أن القواميس الفرنسية والألمانية والإيطالية تُعرِّفُ التطرف بأنه الإفراط، في حين تُعرِّفُه القواميس الإنكليزية بأنه عنف الوسائل المتبنَّاة»[١].

ولقد وردت عدة مصطلحات لكلمة التطرف في اللغة الإنجليزية مثل:- Extremism – Integrism – Fanaticism، فمصطلح»Extremism»يقول عنه معجم معجم «روبير الصغير» أنه أقرب إلى مصطلح التطرف بمعنى الوقوف في طرف الشيء، وليس كل تطرف غلوًا، ولكن كل غلو هو تطرف.

والتطرف أيضًا يعني الخروج عن القواعد الشفهية؛ العرف، أو المكتوبة والقيم والأطر الفكرية والدستورية التي حددها وارتضاها كتحديد لهويته وسمح من خلالها بالتجديد والحوار والمناقشة، وهو نهايتي مقياس الاعتدال، وليس بأحدهما فقط[٢].

ومذهب التطرف Radicalism اصطلاحًا كمل يعرِّفه "فريد نجار" في "المعجم الموسوعي لمصطلحات التربية" هو " موقف عدائي تجاه أي نظام اجتماعي قائم أو سواه، يحبذ تغييرًا جذريًا عنيفًا لذلك النظام"، والتطرف في جوهره حركة في اتجاه القاعدة الاجتماعية أو الأخلاقية، ولكنها حركة يتجاوز مداها الحدود التي وصلت إليها القاعدة وارتضاها المجتمع[٣].

٢- التطرف اصطلاحًا:

أما عن معنى التطرف في الاصطلاح، فقد وردت عدة تعريفات نورد منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

١) راشد المبارك: التطرف خبز عالمي، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ٢٠.

٢) محمد الهدلاء: تحرير مصطلح التطرف وبعض صوره، تم النشر: ٢٤ ديسمبر، ٢٠١٠م، تم الدخول ٢٤/ ٤/ ٢٠١٥م. انظر: http://www.assakina.com/center/files/6075.html

٣) بدر محمد ملك، و لطيفة حسين الكندري: دور المعلم في وقاية الناشئة من التطرف الفكري، القاهرة، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ١٤٢، المجلد الأول،٢٠٠٩، ص ١٤.

انظر:

- فريد نجار: المعجم الموسوعي لمصطلحات التربية، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة لبنان نشارون، ٢٠٠٣، ص ٨٣٢.
- محمد أحمد بيومي: ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،١٩٩٩.

منها أن التطرف هو ابتعاد عن متوسط ما، سواء يمينه أو عن يساره، والوسطية إن لم تكن نهج الاستقامة لكانت انحرافًا. والسلوك المنحرف هو سلوك ينحرف عن العرف والتقاليد والمعايير المعمول بها في مجتمع ما[١].

وقد عرفه بعضهم أيضًا بأنه: الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيم ومعايير مخالفة لها[٢].

بينما ذهب آخرون إلى أن التطرف: هو اتخاذ الفرد (أو الجماعة)، موقفًا متشددًا إزاء فكر (أو أيديولوجيا أو قضية) قائم، أو يحاول أن يجد له مكان، في بيئة هذا الفرد أو الجماعة. وقد يكون التطرف إيجابيًا يتمثل بالقبول التام لهذا الفكر (الأيديولوجيا، القضية)، أو سلبيًا يتمثل بالرفض التام له، ويقع حد الاعتدال في منتصف المسافة بين القبول والرفض[٣].

في حين عرَّف الدكتور/ راشد المبارك، التطرف بأنه: «الشططُ في فهم مذهب أو معتقد أو فلسفة أو فكر، والغلوُّ في التعصب لذلك الفهم، وتحويله إلى حاكم لسلوك الفرد أو الجماعة التي تتصف به، والاندفاع إلى محاولة فرض هذا الفهم والتوجُّه على الآخر بكل الوسائل ومنها العنف والإكراه»[٤].

علاوة على ذلك، فإن التطرّف واصفًا أيّ فكرة، ورأي، وسلوك، وذوق، ومزاج إذا التزمنا معناه الحرفي بوصفه نعتًا وصيرورة، يفيد الذهاب بتلك الفكرة أو ذلك السلوك إلى الحد الأقصى، وما ينطوي عليه ذلك بالضرورة لناحية الارتباط بين السلوك والقيم من تأكيد بعدٍ واحد في الظواهر المركّبة على حساب غيره.

وبهذا المعنى يمكن أن تكون الذات الفاعلة، سواء أكانت فردًا أم جماعة، متطرّفة في عنفها أو سلميتها، وفي تشدّدها أو تسامحها، بل ومن الممكن أن تكون متطرفة في اعتدالها، أو في وسطيتها. وبهذا الربط الأخير يتجلّى عقم استخدام هذا اللفظ حتى بوصفه مصطلحًا، فضلاً عن أن يكون مفهومًا مفيدًا في تحليل الظواهر الاجتماعية[٥].

---

١) بدر محمد ملك، و لطيفة حسين الكندري: مرجع سابق. ص ١٤.
انظر أيضًا:
– حسن شحاتة، و زينب النجار: معجم المصطلحات التربوية والنفسية، مراجعة حامد عمار، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣، ص ١٠٦.
– محمد علي الصلابي: الوسطية في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٧، ص ١٤١.

٢) ptth:// / moc.u٢syesrejflntseb.daolnwod/ ما معنى التطرف الفكري

٣) dibI.

٤) راشد المبارك: التطرف خبز عالمي، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ٢١.

٥) عزمي بشارة: في ما يُسمى التطرف، مجلة سياسات عربية، الصادرة عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر،

ولكن حبّذا لو كان التعامل مع المفردة بهذا الإلغاء ممكنًا، فلا يمرّ يوم في حياة الإنسان المعاصر دون أن تتعرّض عيناه أو أذناه للفظي التطرّف والمتطرّفين، وذلك في وصف مواقف وآراء سياسية، أو في وصف أساليب ومناهج في العمل السياسي. وفي كلّ مرحلة ترتبط هذه المفردة بتداعيات وصور محددة ينشرها الإعلام تتضمن كمًا من الآراء المسبقة وأنصاف الحقائق والافتراضات بخصوص جماعات من البشر توصم بالتطرف[١].

وفي عصرنا غالبًا ما يُعدّ الفعل العنيف عملاً إرهابيًا إذا قام به من يوسَم بالتطرف. ولا يعدّ نوع الفعل نفسه (قتل المدنيين، وتدمير المنشآت بهدف الترويع) إرهابًا، إذا قام به من لا يُعدّ متطرّفًا أو منتميًا لجماعة متطرفة، حتى كاد هذا يصبح تعريف الإرهاب.

فالإرهاب في هذا العصر هو الفعل العنيف الذي يقوم به من يُعدّ متطرفًا، حتى لو نفّذه ضد عسكريين، أو ضد قوة احتلال. والفعل العنيف نفسه لا يعدّ إرهابًا إذا قام به من لا يُعرف عنه تطرّفًا. يترتب على نسب التطرف إلى شخص أو إلى قوة سياسية أو إلى فكرة إذًا تبعات عديدة. لا سيّما أنّه يصعب وسم دول بالتطرف؛ فهي بحكم تعريفها ليست متطرفة. بل هي التي تطلق على الآخرين هذا اللقب[٢].

مما سبق، يتبين لنا أن مفهوم التطرف من المفاهيم التي يصعب تحديدها أو إطلاق تعميمات بشأنها، وترتبط هذه الصعوبة بالمعنى اللفظي والذي يشير إلى «تجاوز حد الاعتدال» وهو معنى نسبي يختلف من زمن لآخر، ومن مجتمع لآخر، وفقًا لنمط القيم السائدة فيه.

فما يعتبر تطرفًا في زمن ما، قد يكون مقبولاً في زمن آخر، وما ينظر إليه على أنه تطرف في مجتمع ما قد يكون مألوفًا في مجتمع آخر، والاعتدال أيضًا يتغير مدلوله بتغير البيئات، والحضارات، والثقافات، والديانات وترتبط هذه الصعوبة في تحديد مفهوم التطرف بأن حركته في بدايتها تكون في حدود قواعد غير محسوسة يصعب معها تحديد النقطة التي يتجاوز عندها حد الاعتدال ويبلغ حد التطرف[٣].

ثانيًا: معنى الفكر:

إن كلمة فكر تحمل عددًا من المعاني، وتشمل عدة أنواع وتصنيفات، وقد يطول حديثي كثيرًا إذا أردت إيفاء المعنى وفروعه حقهما، ولكن في سبيل التبسيط والإيضاح أذكر ما يلي عن الفكر وكيف يرتبط بالتفكير.

العدد الرابع عشر، مايو ٢٠١٥، ص ٦.

١) المرجع نفسه، ص ٦.

٢) عزمي بشارة: المرجع السابق، ص ٦.

٣) خليل حسن محمود: موقف الإسلام من العنف، سلسلة المواجهة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ١٤.

جدير بي، الإشارة أولاً أن هنالك طرقًا لتحصيل المعرفة (من الخارج)، وهي بالتعلم من مصدر خارجي، من بيئة الإنسان؛ مثل تجربة أو كتاب أو شخص عالم يُلقن ويُعلم المعرفة. والفكر أو التفكر يعد طريقة لتحصيل المعرفة (من الداخل) أي من النفس الإنسانية ذاتها، فهو مصدر داخلي للمعرفة.

فالفكر خاصية إنسانية يحتمل الخطأ والنقص كما الإنسان، فالمعرفة الجديدة التي تم التوصل لها بالتفكير ليست حقيقة أصيلة بالضرورة. فهو يعتمد على العمليات العقلية الإنسانية وليس على الوحي الإلهي، وتأتي تسمية الفكر وتحديد نوعه من أسماء الشخصيات المؤسسة لذلك الفكر أو المذهب، أو تأتي من أسماء بلدانهم، أو اتجاهاتهم أو دينهم، فيقال الفكر الماركسي مثلاً أو الفكر الصوفي، أو الفكر الفلسفي اليوناني، وغير ذلك من المذاهب الفكرية[١].

بالنسبة للمعنى اللغوي لكلمة فكر:

معنى الفكر في اللغة:

فقد ورد في «القاموس المحيط» أن «الفِكْرُ، بالكسر ويُفْتَحُ: إعمالُ النَّظَرِ في الشيءِ[٢]. قال ابن منظور- رحمه الله تعالى- :» الفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء»[٣].

وقال الأزهري- رحمه الله تعالى-:(التَّفَكُّرُ: اسم للتَّفكير، ويقولون: فكّرَ في أمره، وتفكَّرَ، ورجل فِكِّير، كثير الإقبال على التّفكُّرِ، والفِكْرَة، وكلُّ ذلك معناه واحد، ومن العرب من يقول: الفِكرُ للفكرة، والفِكري)[٤].

وقال العلامة الشنقيطي- رحمه الله تعالى-: «التفكر: التأمل، والنظر العقلي. وأصله: إعمال الفكر»[٥]. وقال الإمام الطبري- رحمه الله تعالى-: «إن أهل الفكر هم: أهل التمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه في الصدور»[٦].

---

١) بسمة كمال العتيبي: في معنى الفكر، ٤ ديسمبر، ٢٠١٤م، تم الدخول ٣/ ٣/ ٢٠١٥م. انظر:
- http: / /altagreer.com /blogs / في معنى الفكر

٢) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تعليق، أبو الوفا نصر الهويني، مراجعة، أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، القاهرة، دار الحديث،٢٠٠٨، ص ١٦٠.

٣) ابن منظور: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، القاهرة، دار المعرف، د.ت. ٥/ ٦٥.

٤) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١، ص ١١٦.

٥) محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي: أضواء البيان، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥، ص ١٦٨.

٦) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ، ص ١٠٢.

وفي «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني: الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب. ورجل فكِّير: كثير الفكرة، قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها. والفكر هو استخدام العقل، وتوظيفه للوصول إلى الحقائق، والسلامة والأمان[١].

أما الفكر في الاصطلاح فله معنيان هما:

معنى الفكر الاصطلاح:

الفكر في المعنى العام: هو الصورة الذهنية أو التعبير الذهني لشيء ما؛ فعندما أقول (قمر) مثلاً ستتشكل صورة ذهنية لديك عن القمر، وهذه الصورة تسمى فكرًا. وقيل أيضًا إن الفكر هو الوعي والإدراك. كما قيل هو الذكاء أو القدرة العقلية لشخصٍ ما.

وقيل عن الفكر في معنى أخص: إنه طريقة إعمال الخاطر أو العقل فيما هو معلوم للوصول إلى ما هو مجهول؛ أي أنك تستخدم ما تعلمه أصلاً وتُعمل عقلك فيه، بعمليات التحليل والتركيب والاستنتاج وغيرها من النشاطات العقلية، حتى تصل إلى علم أو معرفة جديدة كانت مجهولة سابقًا؛ فيكون بذلك الفكر (الكيفية) التي يتوصل بها الإنسان لحقائق جديدة.

وهذه الكيفية مرتبطة بعملية التفكير، فالفكر هو أسلوب أو طريقة التفكير، وهو أداة التفكير، كما تكون الأذن أداة السمع و العين أداة البصر. تتشابه المعاني بين الفكر والتفكير، ويقول البعض بتماثل المعاني بين فكر وتفكير، ولكن يقول البعض الآخر إن «الفكر» يعبر عن الطريقة أو الكيفية التي يتم بها التفكير، بينما «التفكير» فهو العملية العقلية نفسها[٢].

وكما يكون الفكر أداةً للتفكير يكون الدماغ أداةً للفكر؛ حيث إن الفكر في محوره روحي، وهو ما يجعله إنسانيًا -أي خاصًا بالبشر دون الكائنات الأخرى- ولكن لا يمكنه أن يعتمد على الروح فقط، فهو مرتبط بالمادة والتي هي الدماغ، فالدماغ هو الآلة أو الأداة المناسبة للفكر، فكل إنسان بحاجة لدماغٍ سليمٍ ليقوم بفعل الفكر.

فيكون بذلك التفكير عملية "مادية روحية". والتفكير يُعرف أيضًا بأنه سلسلة من العمليات الذهنية تشمل الملاحظة والمقارنة والتصنيف والاستنتاج، يقوم بها الدماغ إما بسبب

١) بدر محمد ملك، و لطيفة حسين الكندري: مرجع سابق، ص ١٥.
٢) بسمة كمال العتيبي: المرجع السابق.

وازع أو مؤثر خارجي تم استقباله بإحدى الحواس الخمس، أو من وازع داخلي مثل طلب المعرفة أو التأمل أو التصوّف[١].

يمكننا أن نورد لبعض التعريفات الاصطلاحية لمعنى الفكر؛ والتي منها ما ذكره العلامة الشنقيطي- رحمه الله تعالى- بقوله:» الفكر في الاصطلاح: حركة النفس في المعقولات، وأما حركتها في المحسوسات فهو في الاصطلاح تخييل. والفكر لا يكون إلا في القلوب»[٢].

ويقول الإمام أبو الحسن الأشعري- رحمه الله تعالى- الفكر هو: «النظر في الأمر، ليقف الناظر على صحته، أو بطلانه»[٣]. وقيل المقصود من الفكر: «إجراء عملية عقلية في المعلومات الحاضرة؛ لأجل الوصول إلى المطلوب. والمطلوب هو: العلم بالمجهول الغائب، وقيل: «إنّ الفكر هو حركة عقلية، بين المعلوم وبين المجهول»[٤].

مما سبق، يتضح أن الفكر قد يُوصف أو يُنسب إلى زمن أو عصر معين أو إلى مبدأ أو طائفة أو شخص معين أو غيره. ونلاحظ أن «الفكر» كلفظة قد يحمل معنى كلمة فلسفة أو كلمة أيديولوجيا أو حتى كلمة مذهب؛ فيمكن أن نقول «فكر اشتراكي» أو أن نقول «أيديولوجيا اشتراكية»، وذلك للتعبير عن طريقة أو كيفية فريدة وخاصة للتفكير، تصل إلى نوع معين من الأفكار.

فيمكن تسمية الفكر على أنه «فكر إسلامي» أو «فكر ماركسي» مثلاً، وذلك بحسب صفاته المميزة التي تميزه عن المذاهب أو الأيديولوجيات الأخرى. فـ «الأيديولوجيا» كلمة يعود أصلها إلى الفرنسية وتعني "علم الأفكار"، وتدل على طريقة مميزة للتفكير وقد تختص بفرد أو بجماعة أو بثقافة معينة.

كما أن الفلسفة كلمة تُوصف أحيانًا أنها تعني «التفكير في التفكير» فتدل أيضًا كما الأيديولوجيا والفكر على طريقة مميزة للتفكير، مثل قولنا: «فلسفة وجودية»، أو «فكر وجودي»، وقد ينتج الفكر من فكر آخر سابق له، أو قد يتطور منه أو ينشق عنه، فليس شرطًا أن يكون الفكر أصيلاً حتى نسميه فكرًا. والفكر متغير بطبيعته وإن طال ثباته[٥].

---

١) بسمة كمال العتيبي: المرجع السابق.

٢) محمد الشنقيطي: أضواء البيان، ص ١٦٨.

٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين، تحقيق، هلموت ريتر، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص ٥٣٦.

٤) نقلاً عن موقع : بلاغ- مطبوعات- كتاب الفكر : www.balagh.com /matboat

٥) بسمة كمال العتيبي: المرجع السابق.

ثالثًا: معنى التطرف الفكري:

في الواقع، لم يكن التطرف الفكري سوى ترك لطريق آمن واسع، من أجل الالتجاء إلى طريق فرعي يوجب الانقياد أو يُوجد الشتات. تلك هي الحقيقة، فالإنسان المتطرف هو ذلك الإنسان الذي يلجأ إلي ضيق الضرورة أو ينجذب إلى شتات الممكن الذي لا ينتهي، وكلاهما يتطرف بفكره متخطيًا حدود العقل، وما أدراك أيها الإنسان ماذا بعد حدود العقل من مفاوز لا يمكن تجاوزها دون العقل الذي لابد تاركك، فهو يعرف حدوده أكثر منا، وهو لا يتركنا بل نحن الذين نتركه ونتجاوز حدوده.

وإذا كنا قد عرضنا في السابق لمعنى التطرف ولمعنى الفكر كل على حده، فإنه جدير بنا أن نتناول المصطلح مركبًا، أعني، التطرف الفكري. إذ لا مندوحة من وضعه هذا تحت الميكروسكوب. ومن ثمَّ، فهو يعني من الناحية الاصطلاحية بأنه: «الغلو والتنطع في قضايا الشرع، والانحراف المتشدد في فهم قضايا الواقع والحياة، فالميل نحو أي طرف سواء كان غلوًا أو تقصيرًا تشددًا أو انحلالاً يعتبر أمرًا مذمومًا في العقل والشرع»[1].

والتطرف الفكري هو: المبالغة في التمسك فكرًا أو سلوكًا بجملة من الأفكار قد تكون دينية عقائدية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو أدبية، أو فنية تشعر القائم بها بامتلاك الحقيقة المطلقة. وتخلق فجوة بينه وبين النسيج الاجتماعي الذي يعيش فيه وينتمي إليه، الأمر الذي يؤدي إلى غربته عن ذاته وعن الجماعة ويعوقه عن ممارسة (التفاعلات) المجتمعية التي تجعله فردًا منتجًا[2].

ومن ثم، فإن التطرف ينطلق في جوهره من نظرة تنزيهية للذات والنظرة السوداوية والعدائية للآخر، وهذا ينسحب هنا على المعرفة، والعِرق، وكل مكونات هذه الذات. وهذا التشكيل النفسي هو ما يحكم نظرة الفرد للمواقف والتغيرات المحيطة به. إن الحدية التي تقوم عليها هذه النظرة واعتقاد توفر الجواب باستمرار، ليست منطقية وأن جوابنا هو الصحيح بالضرورة وجواب الآخر خاطئ أيضًا بالضرورة[3].

علاوة على كل هذه التعريفات السالفة، إلا أنني أرى أن التطرف الفكري له معنيان؛ أحدهما، بالمعنى العام، والآخر، بالمعنى الضيق أو الخاص وهما كالتالي:

---

١) مسفر بن على بن محمد القحطاني: التطرف الفكري وأزمة الوعي الديني، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري «المفاهيم والتحديات» بجامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ، ص ٢.

٢) وفاء محمد البرعي: دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، تقديم: شبل بدران، الطبعة الأولى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢، ص ٢٥.

٣) بدر محمد ملك، و لطيفة حسين الكندري: مرجع سابق، ص ١٥.

١ - التطرف الفكري بالمعنى العام:

وهو التطرف الذي يكون صاحبه متطرفًا في كل أفكاره؛ سواء الدينية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية...الخ. وهو تطرف على مستوى مناحي الحياة المختلفة، ولا يحده في تطرفه هذا دين ولا أخلاق ولا مجتمع ولا عادات ولا تقاليد وهو أشد خطورة من التطرف بالمعنى الخاص أو الضيق؛ لما ينتج عنه من غلو، وعنف، وتخريب، وتدمير، قد يكون سببًا في إفساد مجتمع أو مجتمعات بأكملها.

٢ - التطرف الفكري بالمعنى الضيق أو الخاص:

ويقصد به التطرف الأيديولوجي أو العقلي، وهو ذاك التطرف الذي يتخذ من العقل إلهًا يسبح بحمده ليل نهار، وقد يظن صاحبه أنه بلغ ما بلغ من العقلانية التي تجعله يتوهم أنه يمتلك الحقيقة المطلقة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

ومن أمثال ذلك العديد من المفكرين والفلاسفة والأدباء...الخ. وقد يكون صاحبه معتنقًا لدين أو مذهب ما غير متطرف فيه لأنه اتخذه كمسلمات لا تقبل الشك، وهذا يكون أقل وطأة من التطرف بالمعنى العام؛ وذلك لأن التطرف بالمعنى الخاص لا يصل إلى مرحلة العنف والدمار، بل يقتصر في الغالب على صاحبه فحسب.

الفرق بين الفكر المتطرف والتطرف الفكري:

التطرف الفكري: وهو ذاك الذي يكون فيه التطرف هو الأصل، وإن اتخذ ثوبًا فكريًا. مثال: ذاك الشخص المتطرف الذي يحاول أن يُقدِّم فِكرَهُ في صورة عقلانية مقنعة، بحيث يلبس الباطل الحق ويلبس الحق الباطل.

أما الفكر المتطرف: فهو الفكر الذي يكون الأصل فيه أنه فكر عقلي سليم، ثم اتخذ منحىً متطرفًا، فنقله من الاستقامة إلى الاعوجاج، ومن السلامة والاتزان إلى الانحراف والتطرف، ومن ثمَّ انحرف عن قواعد العقل البديهية.

ومن ثم يكون للتطرف الفكري وجهان؛ أحدهما، مكشوف، والآخر، مقنَّع، فكما يوجد التطرف الفكري المكشوف والذي يمكن تشخيصه دون تعقيد، كذلك هناك التطرف الفكري المقنَّع الذي تضيع معه البوصلة، لا سيما إذا اتخذ صيغة علمية، و ظهر بوجه حضاري، فيترك تأثيرًا كبيرًا وخطيرًا في الشعوب والمجتمعات، وربما يصل إضلاله حد تصور أنه النهج الصحيح، وما عداه هو الشذوذ والخطأ.

ونجد لذلك أمثلة كثيرة في ثقافات الأمم وحضاراتها، وليست الحضارة الغربية بدعًا عن ذلك، فقد أفرزت فيما أفرزت من مفردات ثقافاتها من الشذوذ الثقافي الفكري ما حاولت تلبيسه بوجه حضاري ساهم ولا يزال يساهم في إغواء الناس وإضلالهم[١].

ربما ليس في تعبير (التطرف الفكري) ما يوجب الشطط على مستوى إدراك المفاهيم وتشخيصها، لكن هذا التعبير قد ينطوي على ما يسبب الالتباس وربما الضياع عند إسقاطه على الواقع في مقام تطبيقه عليه. إننا حينما نرجع إلى المادة اللغوية للفظ (ط، ر، ف) نراها قد استعملت في معانٍ شتى لا ينطبق الكثير منها على المفهوم الذي نحن بصدده.

فقد يطلق تعبير التطرف على الشخص الذي لا يثبت على أمر أو رأي، وقد يطلق على المرء الذي ينسى القديم ويستطرف الجديد، وقد يطلق على الطيب الغريب، أو على المستحدث بشكل عام وإن لم يكن داخلاً في المُحدَث المبتَدَع. وليس لذلك كله ربط بالمفهوم الذي نحن بصدده[٢].

إن تعبير (التطرف الفكري) بما ينطوي عليه من مضمون قد استُلّ من استعمال المادة اللغوية في التباعد والتنحي، فالمتطرف هو المتباعد إلى ناحية الشيء و طرفه، فاستُلَّ منه تعبير (التطرف الفكري) كمفهوم مشبَّع بالسلبية للتعبير عن الانحراف عن الاستقامة في الفكر والاعتدال في الفهم.

لذلك فإن الخروج عن الاعتدال هو مفهوم واضح لا يقع في إدراكه التباس في الأذهان، وإنما يتحقق الالتباس وربما الضياع عند إسقاطه على الواقع، وعندئذ يقع الاختلاف في وصف فكر ما بالتطرف.

ولقد تورط بعض الباحثين في هذا المنزلق وهو يعرِّف التطرف الفكري بأنه انتهاك قواعد ومعايير وثقافة المجتمع، وفاته أن تلكم القواعد والمعايير والثقافة التي يتبناها مجتمع ما قد لا تجسد الوسطية والاعتدال أصلاً.

أليست الرسالة الإسلامية السامية قد جاءت خروجًا على قواعد، ومعايير، وثقافة مجتمع الجاهلية آنذاك؟ فهل يصح في الفهم المستقيم أن توصف بالتطرف الفكري لأنها انحرفت عن قواعد ومعايير وثقافة مجتمعها الذي انطلقت فيه؟[٣].

١) حسين المؤيد: آثار التطرف الفكري، بحث ألقاه الإمام المؤيد في الدورة الأولى للأئمة والخطباء والدعاة التي أقامتها وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف في مملكة البحرين بتاريخ ١٩/ ٥/ ٢٠١٢، تم الدخول ٨/ ١/ ٢٠١٦.
- http://www.almoaiyad.com/Research&Studies/r-s81.htm.

٢) حسين المؤيد: المرجع السابق.

٣) المرجع نفسه.

إننا بحاجة إلى وضع ضوابط موضوعية، ومعايير منهجية في هذا المجال، وإلا وقعنا فيما وقع فيه الكثيرون من الشطط على هذا المستوى. ألم يحدث أن كتّابا ومفكرين وصفوا جملة من أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء بالتطرف، وهي جزء من منظومة الدين الإسلامي الحنيف الذي به وصف القرآن الكريم الأمة الإسلامية بأنها أمة وسط؟

لا شك في أن وصف الإسلام كله أو بعضه بالتطرف لم يأت من محتوى مفهوم التطرف، وإنما جاء من إسقاط هذا المفهوم انطلاقًا من نظرة مسبقة عن طبيعة الاعتدال في الفكر.

وهذا ما نجده أيضًا في نقد المدارس الفكرية الوضعية لبعضها، فالمعسكر الغربي كان يرى الفكر الشيوعي والاشتراكية الماركسية تطرفًا، وفي الوقت نفسه ترى المدرسة الماركسية في الرأسمالية الغربية والتركيز على حرية الفرد ومصالحه تطرفًا فكريًا.

ومن هنا فإننا يجب أن نميز بين محتوى التعبير ومُعطى المفهوم، وبين إسقاط المفهوم في مقام وصف فكر ما به. وهذا ضروري لا على مستوى الشفافية في المفهوم والمصداق فحسب، وإنما على مستوى الحديث عن مخاطر التطرف الفكري وآثاره السلبية[1].

رابعًا: التطرف الفكري وعلاقته بالمفاهيم الأخرى:

لم ينشأ، في الواقع، مفهوم التطرف الفكري من فراغ، كما أن هذا المفهوم ما كان معروفًا بهذا الاسم في الحضارات القديمة، وإنما كانت ثمَّة مصطلحات أخرى تكاد أن تقترب منه في المعنى نفسه، وإن كانت تمثل جزءًا من مفهوم التطرف ذاته، وليس كل التطرف.

وقد كانت هذه المصطلحات، أو إن شئت فقل تلك المفاهيم، هي الإرهاصات الأولى التي انبثق عنها ما يُعرف في أوساطنا العلمية، والسياسية، والاجتماعية الآن، بالتطرف الفكري.

والسؤال الآن ما هي هذه المصطلحات وما هي علاقتها بالتطرف الفكري؟

إن هذه المفاهيم أو المصطلحات هي؛ العنصرية أو العرقية، والتشدد، والتعصب، والغلو، والعنف، والعدوان، والإرهاب، وهذه المصطلحات تنصهر جميعها تحت مسمى التطرف الفكري، وذلك لأن كل مفهوم من هؤلاء يُعدُّ لونًا من ألوان التطرف الفكري.

وقد جاء ترتيب هذه المفاهيم هكذا، عن قصد، وذلك لأن التطرف الفكري يبدأ بمراحل؛ أولها مغالاة الإنسان- إذا جاز الوصف- المتطرف في الاعتزاز بقبيلته، أو جماعته، أو برأيه الشخصي، وهذا ما يسمى بالعنصرية أو العِرقية، وآخرها، بلوغ ذاك المتطرف إلى مرحلة

---

١) حسين المؤيد: المرجع السابق.

الإرهاب تلك المرحلة التي هي ذرة سنام التطرف لما تتضمنه من؛ قتل، وحرق، وتخريب، ودمار شامل يقضي على الأخضر واليابس.

بهذا، يمكن تحديد مفهوم التطرف الفكري من الناحية الاصطلاحية بأنه: (الغلو والتنطع في قضايا الشرع، والانحراف المتشدد في فهم قضايا الواقع والحياة) فالميل نحو أي طرف سواء كان غلوًا أو تقصيرًا، تشددًا أو انحلالاً يعتبر أمرًا مذمومًا في العقل والشرع[١].

أ- العنصرية:

لذا، سنبدأ بالعنصر الأول، وهو العنصرية أو العرقِية، ولكن بداية ماذا نعني بها؟

عادة، ما لا نحب أن ننكر عن أنفسنا على أننا عنصريون، ولا أن نعترف بأن العنصرية جزء لا يتجزأ من حياتنا. ولكن، للأسف، العنصرية هي ظاهرة ثقافية موجودة في كل مجتمع.

وعليه، أريد أن أجعل سؤال «من هو العنصري»؟ سؤالاً سوسيولوجيًا: ما هي العنصرية»؟ يساعدنا تعريف العنصرية مثلاً على أن نحدّد هل محاكاة اللهجة الشرقية أو العربية لإضحاك الجمهور ضرب من العنصرية؟ هل التخلي عن وجبات الدم التي تبرّع بها أثيوبيون هو عنصرية؟ هل هتافات مثل: «الموت للعرب» عنصرية؟ وهل القول أن الروسيات كلهن بائعات هوى عنصرية؟

إنه في كل مجتمع هناك فروقًا تبين بني البشر على أساس البشرة ومبنى الوجه أو الجسم. إلا أن هذه الفروقات لا كُمين أن تكون أساس الدونية اجتماعية أو تخلّف ثقافي. تبدأ العنصرية في النقطة التي نبدأ فيها بتصنيف الناس على أساس خصائص بيولوجية وحين ننسب إليهم صفات ومواهب متدنية أو راقية[٢].

أولاً- العنصرية في اللغة:

عُنصُريّة: (اسم)

مصدر صِنَاعِيّ

مَذْهَبٌ قَائِمٌ عَلَى التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ بِحَسَبِ أُصُولِهِمُ الْجِنْسِيَّةِ وَلَوْنِهِمْ. ظَلَّتِ الأُمَمُ الْمُتَّحِدَةُ: تُدِينُ السِّيَاسَةَ الْعُنْصُرِيَّةَ لِجَنُوبِ إِفْرِيقِيَا عِنْدَما كَانَت خاضِعَةً لِحُكومَةِ البِيضِ.

١) محمد الهدلاء: من أشكال الانحراف الفكري المؤدي للإرهاب .. التطرف مفهومه أسبابه أبرز سمات المتطرفين، ٢٦ يوليو، ٢٠٠٩م، تم الدخول ٥/ ٨/ ٢٠١٥م.
- http://amnfkri.com/inf/articles.php?action=show&id=118.

٢) روزر عامر: حقيبة تربوية في موضوع العنصرية بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على التمييز العنصري، مقدمة يهودا شنهاف: ما هي العنصرية؟، ترجمة، مرزوق حلبي جدل، جمعية حقوق المواطن في إسرائيل، ٢٠١١، ص٤.

والعنصرية: اسم مؤنَّث منسوب إلى عُنْصُر.

وهي مصدر صناعيّ من عُنْصُر: مذهب يفرِّق بين الأجناس والشُّعوب بحسب أصولها وألوانها ويُرتِّب على هذه التَّفرقة حقوقًا ومزايا، مذهب المتعصِّبين لعنصرهم، أو لأصلهم العِرقيّ. ولا تزال العنصريَّة سائدةً في بعض الدّول، العُنْصُرِيَّةُ تعصُّبُ المرء أو الجماعة للجنس[1].

ثانيًا- العنصرية في الاصطلاح:

لقد تم تعريف العنصرية في العادة على النحو التالي: «عز ودونية لشخص أو مجموعة، من خلال استعمال خصائص نمطية، ومن خلال وصف الفارق بين المجموعات بمصطلحات جوهرية بيولوجية لا تتغير». هذا التعريف جزئي تاريخيًا، كانت العنصرية البيولوجية جزءًا من السيطرة الأوروبية على مستعمراتها خلف البحار.

سُّمي الأصلانيون في أفريقيا وآسيا "أعراق أصلانية"، ووُصفوا على أنهم لا يستطيعون التفكير بشكل مستقلّ أو فهم القانون والحكم الأوروبيين. قد تم تحديد العِرق وفق لون البشرة ونُسبت له خصائص بيولوجية مرافقة مثل: البدائية، النطق المتأصّل، اللانظام، أو جنسانية مبالغ فيها. لم تكن هذه العنصرية حاضرة في السياسة فحسب، بل في المجتمع والأدب والثقافة، أيضًا. فالأدب الأوروبي من "غوستاف فلوبر" حتى "جين أوستن" كان مشبعًا بتوصيفات عنصرية مباشرة وغير مباشرة.

العنصرية البيولوجية ميزت، أيضًا، التعامل مع اليهود في أوروبا، ومن السخرية أن تظهر العنصرية في تعامل يهود مع يهود آخرين، وفي إسرائيل، أيضًا. مثلاً، العنصرية تجاه اليهود المتدينين "الحريديم"، صحيح أنها تأتي بلغة اجتماعية) بدائية، ثقافة متدنية، نزعة شتاتية وطفيلية) إلا أنها تنبني على خصائص جسمانية فيوصف اللحى، والسوالف، أو رائحة الجسد لدى الرجال "الحريديم". إلا أن هذا التعريف للعنصرية إشكالي؛ لأن مصطلح "عِرق" متخيّل ومُختلق، ويجعل من تعريف «العنصرية» محيرًا وزئبقيًا[2].

على هذا، فالعنصري هو الذي يُفضِّلُ عنصره على غيره من عناصر البشر ويتعصب له، وأول من نادى بالعنصرية هو «إبليس» لعنه الله، حين قال كم جاء في القرآن الكريم: ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ [سورة الأعراف: ١٢].

---

١) معنى عنصرية في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي، تم الدخول ٦/ ٨/ ٢٠١٥.
- http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/تعبير صدء/

٢) روزر عامر: حقيبة تربوية في موضوع العنصرية بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على التمييز العنصري، ص٤.

العنصرية (أو التمييز العِرقي) (بالإنجليزية (Racism): هو الاعتقاد بأن هناك فروق وعناصر موروثة بطبائع الناس أو قدراتهم وعزوها لانتمائهم لجماعة أو لعرق ما – بغض النظر عن كيفية تعريف مفهوم العِرق– وبالتالي تبرير معاملة الأفراد المنتمين لهذه الجماعة بشكل مختلف اجتماعيًا وقانونيًا.

كما يستخدم المصطلح للإشارة إلى الممارسات التي يتم من خلالها معاملة مجموعة معينة من البشر بشكل مختلف ويتم تبرير هذا التمييز بالمعاملة باللجوء للتعميمات المبنية على الصور النمطية وباللجوء إلى تلفيقات علمية(١).

ثالثًا– تاريخ العنصرية:

أما عن تاريخها؛ فترجع بذورها إلى فجر التاريخ، منذ إبليس لعنه الله، مرورًا بقابيل الذي قتل أخاه هابيل بدعوى أنه أحق منه بالزواج من الفتاة التي كانت من حق هابيل، ثم سادت العنصرية بين القبائل والعشائر، ومن ثمَّ بين الحضارات التاريخية المختلفة.

ففي اليونان قد ادَّعى اليونانيون أنهم الجنس البشري الأفضل على الإطلاق، ناهيك عن أن الحضارة اليونانية هي الأفضل بلا منازع من وجهة نظرهم. ليس هذه فحسب بل وصل الأمر إلى أنهم نظروا للشعوب الأخرى على أنها شعوب بربرية وهمجية، لا تستحق أدنى حقوق الكائنات البشرية، وإن شئت فقل، لا تستحق حتى مجرد الحياة على ظهر الأرض.

ومن ثمَّ، لم يستطع فلاسفة اليونان التخلص من العنصرية، ولذلك أجازوا لليوناني أن يسترق الأجناس الأخرى ومنعوه من استرقاق اليوناني، وأجازوا للدولة اليونانية أن تبيد الدول الأجنبية، في حين عليها أن تترفق بالمقاطعات اليونانية المتحاربة معها، واليوناني ممزوج بالذهب، بينما بقية الأجناس ممزوجة إمَّا بالنحاس، أو بالفضة(٢).

وما أن ظهر اليهود، إلا وقد أخذت العنصرية أوج بلوغها وذلك حين ذهبوا إلى أنهم شعب الله المختار أو الجنس الآري الذي يستحق التمييز على كل ما سواه، وكذلك ظن المسيحيون أن المسيح ما جاء إلا لخلاصهم فقط، وأن الرب إلههم وحدهم(٣).

١) http://www.ekralc.ude/aidem/lufi/MuciltucitraL-tnedutS-secivreS-snoitinfied/.msicarfo.fdp

٢) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٤، ص١٢٩.

٣) للاستزادة فيما يتعلق بالعنصرية انظر:

– حسن الباش: زحف العنصرية ومواجهة الإسلام؛ دراسة في طبيعة الزحف العنصري المعاصر، وموقف الإسلام من الأمم والشعوب وحرب الإبادة الدائرة على بلاد المسلمين،الطبعة الأولى، لبنان، درا قتيبة، ١٩٩٤.

ولم تكن هذه العنصرية غائبة عن عصر ما قبل البعثة المحمدية؛ فقد زعمت كل قبيلة أنها تفوق غيرها حسبًا ونسبًا وشرفًا. لذا، فلم يتوانَ الإسلام في القضاء عليها باعتبارها من الآثار الجاهلية الأولى، ولا سيَّما أنه حذَّر من التفاخر بها وذلك في قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [سورة الحجرات: ١٣]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء... أنتم بنو آدم وآدم من تراب»[١].

ب- التعصب:

أولاً- تعريف التعصب في اللغة:

قال ابن منظور: «التعصب من العصبية، والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتآلب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا، والعصبة: الأقارب من جهة الأب؛ لأنهم يعصبونه ويَعْتَصِب بهم أي يحيطون به ويشتد بهم. وفي الحديث: «ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية»[٢]. والعصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعه: نصرناه»[٣].

ثانيًا- تعريف التعصب في الاصطلاح:

يمكن تعريف التعصب بأنه: شعور داخلي يجعل الإنسان يتشدد فيرى نفسه دائمًا على حق ويرى الآخر على باطل بلا حجة أو برهان.ويظهر هذا الشعور بصورة ممارسات ومواقف متزمتة ينطوي عليها احتقار الآخر وعدم الاعتراف بحقوقه وإنسانيته[٤].

ثالثًا: أنواع التعصب:

للتعصب أشكال مختلفة؛ منها[٥]:

١- التعصب الديني أو الطائفي: [ويقصد به التحيز، والتحزب لدين أو معتقد بعينة أو طائفة بعينها تحيزًا أعمى، مع رفض كل ما سواه، مثلما فعل الكفار حين اعتنقوا الوثنية دينًا

- أحمد ديدات: الحل الإسلامي للمشكلة العنصرية، ترجمة وتعليق، محمد مختار، المختار الإسلامي، ١٩٩٢.

١) رواه أبو داود في السنن، باب في التفاخر بالأحساب، ٥١١٦، حسنه الألباني.

٢) أخرجه أبو داود، السنن (٤/ ٤٩٤، رقم ٥١٢٣) وهو ضعيف بهذا اللفظ. وإن كان قد جاء في الصحيحين ما يحمل المعنى نفسه.

٣) ابن منظور: لسان العرب (١/ ٦٠٢، مادة: عصب).

٤) مشعل بن محمد الحداري: التعصب؛ تعريفه، وأنواعه، وأضراره، وأحكامه، تم الدخول ١٢/ ٧/ ٢٠١٥.
- http://dr-alhadari.com/wp-content/uploads/bsk-pdf-manager/

٥) المرجع السابق.

وتعصبوا لها بحجة أنها دين آبائهم وأجدادهم، وقد رفض الإسلام هذا التقليد الأعمى والتعصب المقيت ودعا لعبادة الله وحده وكيف أن الإسلام دين الأنبياء جميعًا من لدن آدم عليه السلام حتى محمد صلى الله عليه وسلم].

وقد نفى الله –عز وجل– الإكراه على اعتناق الإسلام بقوله: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:٢٥٦].

٢– التعصب العِرقي أو القومي أو القبلي:وهو التعصب على أساس النوع البشري، سواء اختلفت الألوان أو اتفقت.

٣– التعصب الفكري: وهو التفكير دائمًا بصفة أحادية مع إلغاء الرأي الآخر، ورفض تقبله ونقاشه. وهو إلغاء العقل، والإسلام[ضد هذا التعصب قلبًا وقالبًا] دين وسطية وتوازن في تناول الأمور وعند التعامل مع البشر.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة:١٤٣].

٤– التعصب للنوع الاجتماعي: كتعصب النساء للنساء، والرجال للرجال مع إلغاء مبدأ تفضيل الناس على أساس التقوى، والكفاءة، والموهبة، والمهارة كل بحسبه.

٥– التعصب الرياضي: وهو الحب الشديد لفريق أو رياضة دون غيرها، وعدم تقبل النقد له. ويكفي في بيان ضرره أنه بلا ثمرة.والألعاب الرياضية وسيلة وليست غاية فكيف يتعصب لمتعاطيها،ولو أن الناس استمتعوا بفوائدها وبقضاء الوقت في مباحها لما وجدنا لها هذا الزخم والتفاعل معها،ولكن ثمة من يستفيد من التعصب لها بكافة فروعها تجاريًا وسياسيًا.

٦– التعصب الطبقي: وهو ما جعل المشركين يعاندون في دخول الإسلام في عهد النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم –، قال تعالى عنهم: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ [الزخرف:٣١]، فرد عليهم الله اعتراضهم بقوله: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [الزخرف:٣٢].

ولم تكن هذه هي كل أنواع التعصب، بل ثمة أنواع أخرى متعددة لا يتسع المجال لذكرها في هذا النطاق. وعلى هذا يعد التعصب بكل صوره المختلفة واحدًا من آليات التطرف الفكري، وهو نتيجة حتمية للإيمان بالعِرقية أو العنصرية. وهو أمر يرفضه الباحث تمامًا[1].

التعصب للإسلام أو الجانب الإيجابي للتعصب:

على الرغم من، رفضنا التام للتعصب المذموم الذي يرفضه الشرع والعقل، إلا أن هذا لا يعني أننا نُقْصي الجانب الحسن للتعصب أو ما يمكننا أن نُطلق عليه التعصب الإيجابي؛ ونعني به ذاك التعصبَ التنافسي أو الحب الشديد للدين أو المعتقد والتمسك به دون إفراط أو تفريط.

التعصب الإيجابي هو اعتقاد الإنسان أن المجموعة التي ينتمي إليها سواء كانت قبيلة أو شعبًا أو دينًا هي أسمى وأرقى من بقية الفئات المجتمعية المناظرة، وفيه يشعر صاحبه بالاعتزاز، والافتخار، والحب، والمؤازرة لما يدين به. فالمسلم يرى نفسه وحده حائز الحقيقة المطلقة، والمسيحي يرى نفسه ابن الرب، بينما اليهودي هو وحده شعب الله المختار.

ولكن أفظع نماذج هذا التعصب وأكثرها فجاجة، ربما في التاريخ كله، هو النموذج المتطرف الذي يرفض المخالف له تمامًا، بل ويبيح دمه لأهون الأسباب حتى دون دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة. أما التعصب السلبي فهو على العكس من ذلك إذ يشعر الإنسان أن المجموعات الاجتماعية الأخرى أو جزءًا منها أدنى من تلك التي ينتمي إليها أو من غيرها. فالأميركي الواسب المتعصب يرى الزنجي مثلاً متخلفًا عقليًا، و الصيني متبلد المشاعر، و المسلم دمويًا إرهابيًا وهكذا.

على هذا، يكون مقابل التعصب هو الاعتصام، والذي يكون دافعه قوة الإيمان بالفكرة؛ لدرجة انعقاد القلب عليها، فلا يُزاحمها غيرها، فيبني إيمانه على يقين، ويدافع عن يقينٍ، مع

---

١) للمزيد من المعلومات عن التعصب، انظر:

- حسن الجوجو: التعصب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدعوة الإسلامية، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر(١٦،١٧ أبريل ٢٠١٥)، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.
- شوقي أبو خليل: تسامح الإسلام وتعصب خصومه، الطبعة الثالثة، طرابلس، الناشر: كلية الدعوة الإسلامية، ١٤٢٨.
- فؤاد عبده الحاج البعداني: التعصب الفكري والمنهجي والحزبي آفة الجماعات الإسلامية دراسة وصفية نقدية، مجلة القلم، العدد (٢)، ٢٠١٤.
- عماد عبد السلام رءوف: التعصب بواعثه وآثاره في التاريخ العربي، ضمن كتاب: قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٥.
- محمد حسن غانم: رؤية عينة من المثقفين المصريين لظاهرة العنف: دراسة سيكولوجية، مجلة علم النفس عدد ٤٥، ١٩٩٨.
- معتز سيد عبد الله: الاتجاهات التعصبية؛ أهم أشكالها ومدى عموميتها، ضمن، لويس كامل ملكية: قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي، المجلد الخامس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.

فسحة في الذهن للنظر للقول الآخر. والاعتصام غالبه مبني على أدلة واضحة لصاحبها، مبلغ اليقين، لا يوهمه كثرة المخالفين، ولا قلة الموافقين[1].

جـ) الغلو:

إذا ما آمن المرء بالعنصرية وما تدعو إليه، فلا يكون من سبيل أمامه إلا أن يقع في فخ التعصب الأعمى والجهل، وبالتالي يدفعه كل ذلك إلى تبني الغلو والتشدد مذهبًا ومنهجًا. ولكن ما المقصود بالغلو؟

أولاً- تعريف الغلو:

بما أن التطرف هو مجاوزة حد الاعتدال فهذا يدعو إلى معرفة الغلو .والغلو لفظة شرعية وردت في الكتاب والسنة؛ وهي من غلا إذ زاد وارتفع وجاوز الحد ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء:١٧١]. في هذه الآية الكريمة يحذرنا الحق سبحانه وتعالى من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة حين تطرفت وانصرفت عن منهج رب العالمين فاتخذت الغلو والإفراط منهجًا لها، وهو عين التطرف.

وفي نهي الله لهم تَحْذِيرٌ لهذه للأمة الإسلامية، حتى لا تقع فيما وقعت فيه اليهود في غلوها بقولها بقول "عزير" ابن الله، وأيضًا حتى لا تكون مثل: النصارى الذين غالوا في "عيسى ابن مريم" حين رفعوه فوق مرتبته ومكانته ووصفوه بصفات الألوهية، فوقعوا بسبب ذلك جميعًا في الشرك والكفر المخرج عن الإسلام دين رب العالمين.

وقد جاء ذلك في قول الحق تبارك وتعالى:**﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [التوبة:٣١:٣٠].

وكذلك خاطب سبحانه وتعالى أهل الكتاب بعدم الغلو في الدين في قوله:**﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾**[المائدة:٧٧].

١) بليل عبد الكريم: التعصب، شبكة الألوكة ٢٠١٢، تم الدخول ١٢/ ٣/ ٢٠١٦.
http://www.alukah.net/culture/0/38047/

وجاء في السنة عن ابن عباس رضي الله عنه : لما جمع النبي صلى الله عليه وسلم الجمرات أمره أن يلقط له حصى صغارًا وقال:»بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[١].

قال «ابن تيمية» في شرح هذا الحديث:» وقوله:»إياكم والغلو في الدين« عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال. والغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك. والنصارى أكثر غلوًا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن، في قوله تعالى:﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾.

وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخل فيه، فالغلو فيه: مثل الرمي بالحجارة الكبار، ونحو ذلك. بناءً على أنه قد أبلغ من الحصى الصغار. ثم علل ذلك: بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في الدين، كما تراه في النصارى، وذلك يقتضي: أن مجانبة هديهم مطلقًا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشارك لهم في بعض هديهم، يخاف عليه أن يكون هالكًا[٢].

ومنها ما أخرجه البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«لا تطَّروني كما أطرَّت النصارى ابن مريم. فإنما أنا عبده. فقولوا: عبد الله ورسوله»[٣].

ففي هذا الحديث تحذير واضح لهذه الأمة من الإطراء في مدحه صلى الله عليه وسلم حتى لا يفضي ذلك إلى الغلو فيه كما غلت النصارى من قبل في عيسى بن مريم عليه السلام.

والنهي عن الإطراء في هذا الحديث يحتمل أمرين[٤]:

- إما النهي عن مطلق المدح والاقتصار على وصفه بأنه عبد الله ورسوله.

- وإما النهي عن المبالغة في المدح لئلا يؤدى ذلك إلى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات الإلوهية. ولكلا الأمرين ما يؤيده من الأحاديث.

---

١) أخرجه النسائي وابن ماجة.

٢) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وتعليق، ناصر عبد الكريم العقل، المجلد الأول، الرياض، مكتبة الراشد،د.ت، ص ص ٢٧١، ٢٧٢.

٣) أخرجه البخاري في باب الطيب للجمعة، ج ٨، ص ٥٥٢، مسند الصحابة في الكتب التسعة، مسند عمر بن الخطاب، ج ٢٧ ، ص٥٤.

٤) عبد الرءوف محمد عثمان: محبة الرسول بين الإتباع والابتداع، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ص ص ٢٠٤،٢٠٣.

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث منزلته التي أنزله الله إياها، وهي مرتبة العبودية لله، عز وجل، ثم مرتبة الرسالة التي اصطفاه الله لها. فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته أن تصفه بالعبودية والرسالة ولا تتجاوز ذلك إلى غيره من الأوصاف التي تتضمن الإطراء المنهي عنه. لأن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلّال المتعبدة والمتصوفة حتى خالط كثير منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه[١].

ثانيًا- أنواع الغلو:

والغلو نوعان[٢]:

الأول- غلو اعتقادي: كغلو النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام، وغلو الرافضة في الأئمة، وغلو الصوفية في الأولياء، وغلو الخوارج في تكفير أهل الإسلام بالكبيرة والذنب.

والآخر- غلو عملي: وهو المتعلق بالأمور العملية التفصيلية من الأقوال والأفعال بما لا يترتب عليه اعتقاد مثل رمي الجمار بالحصى الكبيرة، والزيادة في العبادات كالوصال في الصوم والتبتل بعدم الزواج والرهبنة في الدين ... الخ.

على هذا، يكون الغلو مجاوزة الحد والحد هو النص الشرعي على فهم سلف الأمة الذين شهدوا التنزيل وفهموا مقاصد الشرع الحكيم. ومن ثمَّ، يكون الغلو من أحد الأسس التي يقوم عليها التطرف الفكري، بالإضافة إلى كونه سببًا رئيسًا للعنف والعدوان.

من كل ما سبق يمكننا القول: إن الغلو ظاهرة تستحق التوقف والتأمل، ليس لأنها ظاهرة غريبة ونشاز فقط؛ بل لخطورتها على الفرد والمجتمع، وتتمثل تلك الخطورة فيما يخلفه الغلو من تناقض، وتضارب، واضطراب، وقلق في شخص المتطرف، ذلك التناقض الذي يهدد ذات الشخص ويهدد مجتمعه بل ودينه الذي سوف يدفع الثمن نتيجة التشويه الذي سيتعرض له على يد هذا الشخص المتطرف[٣].

والغلو بكل ألوانه مرفوض؛ إذ هو في الحقيقة مرض عقلي، ونفسي؛ لأنه يمثل مجموعة من الأفكار القلقة القاهرة، والمسيطرة على عقلية المتطرف أو الغالي. والغلو: هو تجاوز الحد، والغلو

---

١) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وتعليق، ناصر عبد الكريم العقل، المجلد الأول، الرياض، مكتبة الراشد، د.ت، ص ٦٧.

٢) عبد الرءوف محمد عثمان: المرجع السابق، ص ٢٠٢.

٣) عائض بن سعد الدوسري: الشخصية المتطرفة؛ ملامحها وأبعادها، مجلة الجزيرة السعودية، العدد ١١٢٠٢، مايو ٢٠٠٣. تم الدخول ٧/ ٨/ ٢٠١٥.

- http://www.al-jazirah.com/2003/20030531/ar2.htm

في الدين هو التشدد والتصلب. والتطرف: هو تجاوز حد الاعتدال والتوسط، والركون إلى أقصى الأطراف. ولذلك عُرف الغلو بأنه: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء، عن حده[١].

د- العنف والعدوان:

لا شك، أن دعوة الناس بالحكمة، والموعظة الحسنة، والرفق، واللين، لا بالعنف والهوى هو منهج القرآن والأنبياء جميعًا، لذا، قال الله تعالى:﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[النحل:١٢٥].

قال «الزمخشري» في قوله تعالى:﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ أي؛ بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف[٢].

وقال تعالى مخاطبًا موسى وهارون عليهما السلام حين أمرهما بدعوة فرعون لعبادة الله وحده لا شريك له:﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[طه:٤٣،٤٤].

قال «القرطبي» في قوله تعالى:﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا**﴾ دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة، وضمنت له العصمة... فكيف بنا فنحن أولى بذلك، وحينئذٍ يحصل الآمر على مرغوبه، ويظفر بمطلوبه، وهذا واضح[٣].

من هذا، يتضح أن الإسلام دين الرحمة، واللين، والرفق، وليس دين العنف والتطرف. وهذا ما يجعلنا نتساءل ما المقصود بالعنف؟

أولاً: تعريف العنف:

العنف هو تعبير عن القوة الجسدية التي تصدر ضد النفس أو ضد أي شخص آخر بصورة متعمدة أو إرغام الفرد على إتيان هذا الفعل نتيجة لشعوره بالألم بسبب ما تعرض له من أذى وتشير استخدامات مختلفة للمصطلح إلى تدمير الأشياء والجمادات مثل: تدمير الممتلكات، ويستخدم العنف في جميع أنحاء العالم كأداة للتأثير على الآخرين.

---

١) عائض بن سعد الدوسري: المرجع نفسه.

٢) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨، ص ٤٨٥.

٣) القرطبي: الجامع لحكام القرآن، ٦/ ١٨١.

كما أنه يعتبر من الأمور التي تحظى باهتمام القانون والثقافة حيث يسعى كلاهما إلى قمع ظاهرة العنف ومنع تفشيها، ومن الممكن أن يتخذ العنف صورًا كثيرة تبدو في أي مكان على وجه الأرض، بدايةً من مجرد الضرب بين شخصين والذي قد يسفر عن إيذاء بدني وانتهاءً بالحرب والإبادة الجماعية التي يموت فيها ملايين الأفراد، كما أن العنف لا يقتصر على العنف البدني فحسب[١].

وتشير الموسوعة العلمية (Universals) أن مفهوم العنف يعني كل فعل يمارس من طرف جماعة أو فرد ضد أفراد آخرين عن طريق التعنيف قولاً أو فعلاً وهو فعل عنيف يجسد القوة المادية أو المعنوية.

كما يعرفه بعض الباحثين بأنه:"هو سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر عن طرف قد يكون فردًا أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال وإخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصاديا وسياسيًا مما يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى[٢].

على الرغم من أن جميع الأديان والرسالات والفلسفات والنظريات الاجتماعية تدين العنف والإرهاب وتعتبره من أعقد المشاكل والعقبات التي تواجه البشرية... ومع ذلك لم يتوصل المفكرون إلى مفهوم واضح وموحد للعنف والإرهاب، لأن كل طرف منهم يفسره حسب فهمه وقناعاته السياسية، وبصورة خاصة عندما يتحول العنف من أداة إلى فكرة عقائدية ورفعها إلى مستوى المقدس[٣].

ثانيًا- أنواع العنف:

أما بالنسبة لصور العنف وأنواعه فهي متعددة منها، على سبيل المثال لا الحصر، العنف الديني، والعنف الأسري، والعنف المدرسي، والعنف في العمل، والعنف المجتمعي، والعنف الطائفي، والعنف الدولي....الخ والتي تنتج جميعها عن التطرف في الفكر، والانحراف عن المسار السليم للحياة. وقد تكون أسباب العنف والتطرف الفكري متشابهة إلى حد كبير، لذا، سنذكر أسباب العنف وطرق علاجه في معرض حديثنا عن أسباب التطرف الفكري وطرق علاجه[٤].

---

١) http: / /baht1.blogspot.com.eg /2016 /01 /12 /blog-post-12.html. Accessed: 12 /2 /2016.

٢) http: / /bafree.net /alhisn /showthread.php?t=63828. Accessed: 12 /2 /2016.

٣) إبراهيم الحيدري: سوسيولوجيا العنف والإرهاب، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، دار الساقي، ٢٠١٥، ص ١٨.

٤) للاستزادة حول موضوع العنف، وأنواعه، وأسبابه، وطرق علاجه، ونتائجه، انظر:
- علي إسماعيل مجاهد: تحليل ظاهرة العنف وأثره على المجتمع، تم الدخول ١٢/ ٢/ ٢٠١٦.

وعلى هذا، نستنتج أن الإسلام دين التسامح، فهو يرفض العنف ويزجره بكل صوره التي تكون منحرفة عن المنهج الفطري الصحيح.

هـ الإرهاب:

أولاً، تعريف الإرهاب

إن كلمة الإرهاب كلمة فضفاضة، ومن سوء الطالع أنها كثيرًا ما توسم بالدين وخاصة الدين الإسلامي، وهو منه براء، لذا فقد ادعى كذبًا متطرفو الغرب أن الإسلام دين الإرهاب والعنف والتطرف، ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن المسح حول تاريخ الإسلام وكيف أنه دين التسامح والرحمة والعدل والمساواة،... الخ، ولكن أعماهم تطرفهم المذموم عن حقيقة وجوب التفرقة بين الإسلام كدين وبين أخطاء بعض المنتسبين للإسلام.

نعم، يوجد بعض المتطرفين من المسلمين مثل: أي أصحاب عقيدة أو مذهب سواء ديني أو فكري في العالم، ولكن هذا لا يعني أن الإسلام دين يدعو للتطرف والإرهاب، وإنما سوء فهم بعض أصحابه لنصوصه، وتفسيرها بشكل خاطئ.

وعلى هذا ننبه إلى ضرورة التمييز بين الدين الإسلامي؛ قرآن كريم وصحيح السنة النبوية المطهرة، وبين الأشخاص الذين يدينون به؛ وذلك حتى لا نقع في مغالطة اللجوء إلى الشخص، والتي لا تهتم بالجوهر وتجعل جل تركيزها على الظاهر الخارجي فحسب.

إن التطرف والإرهاب وجهان لعملة واحدة، وحتى يتحول الشخص المتطرف إلى إرهابي يتخذ أولاً المتطرف مواقف صلبة من العقيدة في وجه الظروف المتغيرة التي قد تتطلب مرونة في التيسير والتطبيق، ويلزم اتجاهًا معاكسًا نقيضًا لخصم حقيقي موجود في الواقع والخيال.

ويبدأ موقف التطرف عادة بالعزلة، والمقاطعة المبني على إصدار حكم فردي على المجتمع بالردة، أو الكفر، والعودة إلى الجاهلية ثم يتحول من مرحلة التطرف الفكري إلى السلوك هذا إلى استعمال وسيلة العنف مع الغير[1].

- http://www.policemc.gov.bh/mcms-store/pdf/0bd46adb-0ccb-44d2-ad51-33299e03c52e-pdf.

– حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، القاهرة، مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٢.

– موقف السنة والكتاب من العنف والإرهاب، الإمارات، مكتبة الصحابة، ٢٠٠٧.

– حنا آرندت: في العنف، ترجمة، إبراهيم العريس، الطبعة الأولى، بيروت، دار الساقي، ١٩٩٢.

– تمام عودة العساف: الوازع الديني وأثره في درء العنف المجتمعي، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد ٣٩، العدد ٢، ٢٠١٢.

١) محمد الهدلاء: من أشكال الانحراف الفكري المؤدي للإرهاب، التطرف مفهومه أسبابه أبرز سمات المتطرفين، ٢٦ يوليو، ٢٠٠٩م، تم الدخول ٥/ ٣/ ٢٠١٥م.

ويرى المتطرف حينها أن هدم المجتمع ومؤسساته هو نوع من التقرب إلى الله وجهاد في سبيله، وذلك بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو لتحقيق المبادئ التي يؤمن بها الفرد أو جماعته الدينية أو السياسية أو الفئوية، وبذلك فإنه يخرج من حدود الفكر إلى نطاق الجريمة ويتحول إلى إرهابي.

ويعتبر التطرف هو الجانب النظري لصناعة الإرهاب حيث لا يختلف اثنان على أن الإرهاب الذي ظهر في الآونة الأخيرة كان وليد التطرف الذي سبقه بعقود والذي يمثل- أي التطرف- حركة باطنية نفسية، أو عقلية، أو هما معًا؛ بمعنى اقتناع النفس الإنسانية بعقيدة أو فكرة على مستوى النقيض، وهو في حد ذاته نوع من العجز عن رؤية الجوانب الأخرى من الفكرة الواحدة بحيث يتراءى للمتطرف أن الزاوية التي يرى منها هي الزاوية الوحيدة للنظر وأن جميع ما سواها باطل، وطبيعي أن هذا التفسير للتطرف إنما ينصرف إلى التطرف الأعمى الماثل الآن والذي لا يستند إلى أسباب موضوعية أو منطقية سليمة يحدوها سلامة الهدف والغاية.

وللتطرف الأعمى - بالذات- سمات خاصة فهو عادة يكون رد فعل وليس فعلاً قائمًا بذاته، كما أن غالبًا ما يكون نظرية مغرضة خالية من شرف الغاية؛ فهي حينئذ إما ستار لإخفاء عدم البصر بحقيقة الأشياء، أو وسيلة لتحقيق غايات سياسية معينة. وعلى هذا فإن الغلو أو التطرف لم يعد في الدين فقط بل في مختلف ممارسة الحياة اليومية، فقد يكون التطرف في الفكر أو السلوك أو فيهما معًا[1].

ثانيًا- الفرق بين التطرف والإرهاب:

لكن من المناسب هنا أن نفرق بين التطرف والإرهاب إذ أن التطرف يرتبط بمعتقدات وأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتوافق ومتعارف عليه سياسيًا، واجتماعيًا، وثقافيًا، ودينيًا، دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار المتطرفة بسلوكيات فعلية مادية متطرفة أو عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة، أما إذا ارتبط التطرف بالعنف المادي أو التهديد بالعنف فإنه يتحول إلى إرهاب، فالتطرف إذًا غالبًا ما يكون في دائرة الفكر.

وقد ينعكس هذا الفكر على السلوك، وذلك في أشكال متعددة، قد يأخذ بعضها شكل القول أو الكتابة أو غيرها من وسائل التعبير عن الرأي، وقد يتجسد الفكر المتطرف في أنماط أخرى من السلوك كارتداء زى معين، أو الامتناع عن سلوك معين، أما عندما يتحول الفكر

- http://amnfkri.com/inf/articles.php?action=show&id=118

١) محمد الهدلاء: المرجع السابق.

المتطرف إلى أنماط عنيفة من السلوك أو الاعتداء على الحريات أو الممتلكات أو الأرواح فإنه عندئذ يتحول إلى إرهاب.[١]

لذا، يختلف التطرف عن الإرهاب في كون الأول عبارة عن أسلوب استجابة يتمثل في الخروج عن القواعد الفكرية، والقيم، والمعايير، والأساليب السلوكية السائدة في المجتمع ومعبرًا عنه بالسلبية أو الانسحاب بتبني قيم ومعايير مختلفة قد يصل الدفاع عنها إلى حد استخدام العنف والاصطدام بالمجتمع.[٢]

في حين وردت للإرهاب تعريفات متعددة منها؛ أن «الإرهاب» هو: «بث الرعب الذي يثير الجسم أو العقل، أي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف. وتوجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص، سواء كانوا أفرادًا أو ممثلين للسلطة، ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة»[٣]. كما عرفه «أحمد جلال عز الدين» بأنه: «عنف منظم ومتصل بقصد تحقيق أهداف سياسية»[٤].

وقد عرفه المجمع الفقهي الإسلامي بأنه: «العدوان الذي يمارسه أفراد، أو جماعات، أو دول بغيًا على الإنسان: دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه»، كما أكد العلماء أن تعريف الإرهاب «يشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد»... ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم للخطر[٥].

وعلى هذا يتحول العنف إلى الإرهاب وذلك لأن فالعنف هو استخدام القوة لاغتصاب شيء من فرد أو الجماعة ليسوا على استعداد لكي يمنحوه عن طيب خاطر. فالسرقة مثلاً ليست دائمًا عنف، ولكن اغتصاب المرأة هو عنف لأن المغتصب في هذه الحالة يحصل عن طريق القوة والقسر ما يُحصل عليه عادة عن طريق القبول المحبب[٦].

---

١) مواجهة الإرهاب، «إعداد لجنة الشئون العربية والخارجية والأمن القومي»، ص٩.

٢) أمينة الجندي: التطرف بين الشباب: كيف يفكر طلاب الجامعات المصرية، دراسة ميدانية، المنار، السنة الخامسة، سلسلة المواجهة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ٦٨.

٣) أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٧، ص٤٢٣.

٤) أحمد جلال عز الدين: الإرهاب والعنف السياسي، القاهرة، دار الحرية، ١٩٨٩، ص ٤٩.

٥) زكي علي أبو غضة: الإرهاب في اليهودية، والمسيحية، والإسلام، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٢، ص ٣٧.

٦) ج،م، دومیناك: العنف في كل مكان، ترجمة، محمد محمود رضوان، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد٣٧ ، السنة العاشرة: مركز مطبوعات اليونسكو، ١٩٧٩، ص٦.

سمات أو خصال الشخص المتطرف فكريًا:

لقد أجمل الدكتور/ طريف شوقي خصال المتطرف فكريًا بقوله: «إذا أردنا أن نرسم صورة لملامح الشخص المتطرف فكريًا لنتعرف عليه حين نراه سنجده يتسم بالخصال التالية»[1]:

١- النظرة الأحادية للظواهر، والتي تفترض أن هناك سببًا واحدًا مسئول عن حدوث الظاهرة.

٢- الانغلاق المعرفي، وعدم الانفتاح على الخبرات المتاحة.

٣- يعتقد أن الناس لديهم معاني واحدة حول الكلمات نفسها.

٤- إصدار أحكام مفرطة في التعميم على الأشياء، والأفكار، والأشخاص دونما معلومات كافية ودقيقة.

٥- الحكم على الأشياء في ضوء مبدأ الإطلاقية، فما هو مناسب لفرد، أو ثقافة ما سيكون كذلك لفرد آخر، أو ثقافة أخرى.

٦- النظر إلى معتقداته بوصفها صادقة بشكل مطلق، وبالتالي لا مجال لمناقشتها.

٧- عدم القدرة على تقبل المعتقدات، والأفكار، ووجهات النظر المختلفة عنه.

٨- إيمانه بأنه لا يوجد إلا حلاً واحدًا لحل المشكلة.

٩- يصنف الناس تصنيفات يصعب تغييرها.

١٠- يؤمن بأثر الهالة، فالمهم عنده من قال، وليس ماذا قيل.

١١- العجز عن إدراك جوانب التكامل بين وجهات النظر المختلفة حول الموضوع؛ وهو ما يصعب معه فهمه بصورة دقيقة.

وعلى هذا، يحمل التطرف، كمفهوم، في جوهره كسر الحدود، وعدم الاعتراف بها، وهو وهم باطل وخادع.

لذا، فإن من أبرز سمات المتطرف أنه لا يعترف بالحدود سوى تلك التي يخلقها توهمه

١) طريف شوقي محمد فرج: نحو بناء إستراتيجية لإدارة التطرف الفكري، ندوة بكلية الآداب، جامعة بني سويف، بتاريخ ١٥ ديسمبر ٢٠١٥م، ص ١٥.

بامتلاكه الصواب الدائم، خاصة إذا ما اكتسى هذا التوهم بمزاعم امتلاك الحق الإلهي في التقرير والحساب، إنه ببساطة يستدعي يوم الحساب بمنظور بشري توهمي.

إنها حقيقة التطرف؛ أيًا ما كان منظوره وتوجهه، وحين تتأجج هذه الفكرة التوهمية، تتخارج بواسطة الإرادة إلى حيز الفعل والتنفيذ متغافلة عن معاني الإنسانية في أبسط وأيسر حالاتها، وهي تقديس الحرية الإنسانية، إنها صورة متحجرة من القهر والاستعلاء ترفض الاعتراف بالإنسان ولا تقبل سوى حالة واحدة فقط، ألا وهي حالة الخضوع والتماثل، وهي في مسلكها ترفض حكمة الخلق المبدعة في التمايز والتباين.

على هذا، فإن الشخصية المتطرفة في نظر الشارع المقدس هي التي يقوم صاحبها بعمل يُفسد النظام ويحول دون تطبيقه على واقع الحياة، مما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالمصلحة الفردية أو الجماعية أو كليهما[1].

ولكن المعضلة الرئيسة هنا، أن هذا الإنسان المتطرف، هو إنسان أحادي النظرة،لا يمتلك من الرؤى رحابة التعدد والقبول بالتعددية، وهي الخاصة التي تحرمه نعمة الاستماع وراحة الرجوع للطريق القويم،فهو إنسان يرى امتلاكه التام للحقيقة، والحقيقة في معتقده لا تحتمل سوى إما أو، أي إما حقيقة مطلقة أو لا حقيقة، وتلك هي ركيزته التي دومًا يتشدق بها، متعاميًا بقصد أو دون قصد، عن أن الحقيقة هي البنيان الإنساني الذي لا ينفك بناؤه عن الاستمرارية.

لذا فهذا الكائن العجيب لا يقبل الجدل ولا يستطيع له سبيلاً، وليس من سبيل لإجباره على الإصغاء سوى بتذوقه مرارة التجربة، والتجربة هنا لهذا المتطرف هي الدواء الناجع، فلا شفاء سوى بتجرع مرارة التجربة والتي حتمًا سوف تقوده إلى صدام مع الإنسانية المحيطة والتي سوف تقوده لصدام مع الذات، وتلك هي المرارة الحق.

صفات المتطرف فكريًا، كالملحدين مثلاً، كما جاءت في القرآن الكريم:

إذا كان القرآن الكريم قد عرض للعديد من صور المتطرفين فكريًا أو المارقين والخارجين على الفطرة السليمة من الكافرين والملحدين والمنافقين وتنبأ بأحوالهم وأفعالهم- وهذا دليل صدقه وإعجازه- علاوة على ذلك، عرضه لصفاتهم في مواطن عدة. إلا أنه سيقتصر تناولنا هنا على عرض بعض الصفات التي وصف بها القرآن الكريم الملحدين المنكرين لوجود الله عز وجل، والتي تثبت صدقه وكيف أنه كلام الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

١) أحمد مبارك سالم: الانحراف والتطرف الفكري؛ تعريفه، أسبابه، ودوافعه، آثاره وأبعاده، وسبل القضاء عليه، مركز الإعلام الأمني، د.ت، ص ٢.

في حقيقة الأمر، فإن صفات الملحدين لم تخرج عن أمرين: أولاهما، إتباع الشهوات، والأخرى، إتباع الشبهات. وقد كانت كل هذه الصفات أكبر دليل على صدق القرآن الكريم، ولكن كيف ذلك؟

بالنسبة لصفات الشهوات نعرض منها تلك الصفة المعنوية والتي تهدم كل ما هو فطري يستقيم والحياة الإنسانية، بل ولا تبني عقيدةً صحيحةً، ولا علمًا، ولا فكرًا سليمًا، أعني بها صفة إتباع الهوى وتقديس الرأي.

وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى يصف هذا المتطرف أو الملحد بقوله: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ. وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ. وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ**﴾ [الجاثية: الآية ٢٣:٢٧].

هنا نلاحظ أن الله تعالى قد ذكر المتطرفين وكيف أنهم اتخذوا الهوى إلهًا يُعبد من دونه، ثم يبين أنه سبحانه هداهم لطريق الحق فلم يهتدوا فضَلُوا وهم على علمٍ في قرارة أنفسهم أنهم كاذبون.

لذا فإننا نجد الكثير- إن لم يكن كل- من الملحدين من العلماء والمثقفين، ولكنهم خالفوا الفطرة السوية فضلوا عن طريق الحق وختم الله على سمعهم فلا يسمعون كلامه، وختم على قلوبهم فلا يعقلون من القرآن إعجازه وبيانه، وعمُوا عن الحق فلا يرون نوره وسراجه. ثم يختم الآية الكريمة بقوله:»فمن يهديه من بعد الله»؟! والتي توضح أن هذا الملحد متبع الهوى طالما أنه قد اختار طريق الهوى فلم ولن يهديه أحد إلا الله سبحانه وتعالى لطريق الحق[1].

أما الصفة الثانية لأولئك الملحدين فهي نكرانهم لآيات الله عز وجل وكفرهم بها حتى قبل أن يستمعوا إليها وقبل أن يتفكروا فيها وهذا هو حال الملحدين اليوم تجده لا يريد أن يستمع إليك ولسان حاله يقول لك: عليك أن تنصت إليَّ فأنا وأنا فقط كلامي هو الحق وما دونه باطل حتى لو كان من عند الله.

١) انظر: جميل أبو العباس زكير: القرآن وجذور الإلحاد، بمجلة براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية، العدد الرابع، القاهرة، ٢٠١٥م، صفحات من ٢٧:٣٠.

هذا بالإضافة إلى استخدام الملحد لأسلوب المراوغة- وهى صفة نجدها في كثير من المتطرفين أو الملحدين-، فالله يطلب منهم أن يستمعوا للآيات ويتفكروا فيها، فيخرجون عن القضية إلى قضية أخرى وهى مطالبتهم بإحياء آبائهم ويرد عليهم القرآن في موضع آخر من آيات الذكر الحكيم بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «[فُصلت:الآية ٤٠:٣٩].

وهذا دليل عملي من الله سبحانه وتعالى لأولئك المتطرفين الملحدين يدحض من خلاله حججهم الواهية بطريقة حسية فيأخذهم من عالم الغيب إلى عالم الشهادة وكأنه سبحانه أراد أن يقول لهم ألم تكن هذه الأرض الميتة التي لا زرع فيها ولا نبات ثم نزل عليها الماء فأصبحت حية ألم تكن آية كبرى من آيات الله، ألم تكن دليلاً على أنه سبحانه وتعالى قادر على كل شيء.

هذا بالنسبة لبعض صفات الشهوات، أما بالنسبة لبعض صفات الشبهات أنهم حتى إذا قبلوا الحديث معك تجدهم ينكرون وجود الله، وينكرون صفة الخلق لله، وينكرون البعث، والحساب، والجنة، والنار... الخ ثم يحاولون أن يضربوا بعض الآيات ببعضها فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وهذا ما يفعله الكثيرون من الملحدين العرب. وهنا نقول لهم: إذا كنتم تنكرون وجود الله فمن الذي خلق الأرض والسماوات والجبال أليس الله؟!! من الذي خلقكم أنتم أنفسكم أليس الله؟!!

وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى منذ أكثر من أربعة ألف وأربعمائة سنة يصف أولئك الملحدين بأنهم يتبعون الظن ولا يوجد دليل علمي واحد يثبت صدق ما يقولون وذلك في قوله:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ﴾ [ص: الآية ٢٧]. وهذا الظن لا يكون في نكرانهم لخلق السماوات والأرض فحسب، بل وحتى نظرية التطور التي يتشدقون بها ما هي إلا مرحلة فرضية لم تجاوز مرحلة القانون ناهيك عن النظرية، فهي ظن وتخمين فحسب.

إن ما يدحض شبهات هؤلاء الملحدين في إنكارهم لقضية الخالق والخلق جاء في قوله سبحانه وتعالى:**﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ﴾** [الطور: الآية ٣٦:٣٥].

قال ابن جرير: القول في تأويل قوله تعالى:﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: أخُلق هؤلاء المشركون من غير شيء، أي من غير آباء ولا أمَّهات، فهم كالجماد، لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة، ولا يعتبرون له بعبرة، ولا يتعظون بموعظة.

وقد قيل: إن معنى ذلك: أم خلقوا لغير شيء، كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، بمعنى: لغير شيء. وقوله: ﴿ **أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾ يقول: أم هم الخالقون هذا الخلق، فهم لذلك لا يأتمرون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهاهم عنه، لأن للخالق الأمر والنهي﴿ **أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ يقول: أخلقوا السماوات والأرض فيكونوا هم الخالقين، وإنما معنى ذلك: لم يخلقوا السموات والأرض، بَل لا يُوقِنُونَ.

يقول: لم يتركوا أن يأتمروا لأمر ربهم، وينتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى، لأنهم خلقوا السماوات والأرض، فكانوا بذلك أربابا، ولكنهم فعلوا، لأنهم لا يوقنون بوعيد الله وما أعدّ لأهل الكفر به من العذاب في الآخرة[١].

وأضاف ابن كثير في تفسير الآية هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الإلوهية، فقال تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا[٢].

وعلى هذا يتضح أنه مهما قال الملحدون ومهما زعموا فإن أقوالهم مردودة عليهم وأدلتهم على نكران وجود الله واهية ولا أساس لها، فكل ذي فطرة سليمة يقر ويعترف بوجود الخالق والرزاق سبحانه وتعالى.

إن كل ما سبق يوضح صدق القرآن الكريم في وصفه للمتطرفين والملحدين وصفاتهم، وبهذا يكون الملحد بين أمرين: إما أن يُصر على إلحاده وكفره وعناده وبهذا يتحقق فيه وعيد الله له بالنار والعذاب، وإما أن يتوب ويرجع بعد أن يهديه الله ويشرح صدره للإسلام وبهذا يتحقق فيه وعد الله له بالرحمة والجنان. وفي كلتا الحالتين جاءت الآيات القرآنية كثيرة توضح أنه إذا ظل على كفره فقد ختم الله على قلبه ونبأنا سبحانه وتعالى بخبره، وإن عاد إلى فطرته تاب الله عليه وهداه لصراطه المستقيم وشرح صدره للإسلام.

---

١) انظر: محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري ، سورة الطور الآية ٣٥،
- http://library.islamweb.net/newlibrary/display-book.php?idfrom=4650&idto=-4650&bk-no=50&ID=4703

٢) انظر: ابن كثير: تفسير ابن كثير / سورة الطورptth:/ / ra.ecruosikiw.gro/ikiw/